ابن سينا ونداء ما بعد الطبيعة

للأستاذ ادوار الجوالهرجي

قال الرئيس ابن سينا فى خمرياته :

شربنا على الصوت القديم قديمة
ولو لم تكن فى حيز قلت : إنها
لكل قديم أول ، هى أول
هى الصِّلة الأولى التى لاتعلل . !!

فى البيت الأول ، يعبر ابن سينا برمز القديمة أى الخمر عن معرفتنا السابقة الناجمة عن وجودنا السابق مع الحقيقة والحق وهو رمز الصوت القديم

كما يعبر أيضاً برمز الخمر وما بها من سكر ونشوة عن نداء ما بعد الطبيعة الناجم عن تذكارنا الحالى .

أما هذا النداء فتمثله وتقوم به أفكارنا عما بعد الطبيعة ، وهى المعانى المختلفه التى ترتديها فكرة المطلق والتى تنقسم إلى طائفتين :

أولا : إذا راعينا فكرة المطلق فى حدذاتها ، أنجبت ثلاث أفكار وهى :

١ — فكرة واجب الوجود .
٢ — فكرة اللانهائية .
٣ — فكرة الكمال .

ثانيا : إذا راعينا فكرة المطلق بالنسبة إلى علاقاتها بالمنسوب ، أنجبت ست أفكار وهى :

١ — فكرة السبب الأول
٢ — فكرة الغاية النهائية
٣ — فكرة الجوهر المطلق .
٤ — فكرة الحقيقة المطلقة .
٥ — فكرة الجمال المطلق .
٦ — فكرة الخير المطلق .

غير أن ابن سينا عاد فقال فى البيت الثانى : « هى العلة الأولى التى لا تعلل » .

وهنا فقد رجح ، من بين هذه الأفكار ، فكرة السبب الأول أى الموجب الأول (بكسر الجيم) ، ونسب إليها القيام بالدور الأكبر فى هذا النداء .

ولما كان ابن سينا قد جعل من هذه الفكرة محور تفكيره ونتيجة وتعقيب قياسه ، وبذلك أكسبها

مالها من أهمية، فقد وجب الكلام عنها

يكون تعريف فكرة أى مبدأ السبب الأول أى الموجب الأول (بكسر الجيم) على النحو الآتى :

كل سبب أى موجب ثانى يفترض سبب أى موجب أول. وبمعنى آخر :

كل سبب أى موجب ، يكون هو نفسه مسبَّب (بفتح الباء الأولى) أى موجَب (بفتح الجيم)، يفترض سبب غير مسبَّب (بفتح الباء الأولى) أى غير موجَب (بفتح الجيم).

لأن السبب أى الموجب الثانى المباشر (بكسر الشين والسين) الذى يفسِّر كائنا ما أو حادثا ما لا يكون باعثا أى داعيا كافيا تماما لأنه هو نفسه مسبَّب « بفتح الباء الأولى » أى موجَب « بفتح الجيم » ويتطلب هو بدوره سببا أى موجبا وتفسيرا . فالعقل لا يمكنه إذن التوقف عنده ولذا يتقدم نحو غيره، وهكذا يواصل الصعود فى سُلم الأسباب إلى أن يصل إلى سبب أول يكون غير مسبَّب « بفتح الباء الأولى »، ولهذا الاعتبار يستمد حتما من ذاته سبب وجوده .

وما دام الواقع أن كل شىء لابد له من باعث أى داعى ، فسنكون مهددين بجعل صف أى سلسلة غير متناهية من البواعث أى الدواعى الغير كافية ، مالم نعتقد ونسلم أن كل شىء يبرره ويفسره، فى نهاية الأمر، باعث أى داعى أول يكون مفسراً ومبرراً لذاته .

وهذا السبب الأول أى الموجب الأول « بكسر الجيم » يكون إذن أزلى لأن الابتداء مُنفسِّر للعقل . ويكون أيضا واجب الوجود ومطلق الكمال. كما يكون الباعث أى الداعى الكافى تماما لكل ماهو موجود . فيكون إذن اسمه الله .

ما أحدث هذه الفلسفة !!

إنها تتحدى اكتشافات الذرة والكواكب فى عصرنا .

فالذرة والكواكب ما هى إلا أشياء مسبَّبة « بفتح الباء الأولى » وموجَبه « بفتح الجيم » وشتان ما بينها وبين السبب الأول أى الموجب الأول « بكسر الجيم » وهو الله .

لذلك لا يزال نداء ما بعد الطبيعة قائما !!

ادوار الجواهرجى